لسان العرب

(تابع ما قبل)

وفي مادّة (ص ح ر - ص ١١٣ س ٧ - ٨) «كانهُ افضى الى الصحرآء التي لا خَصْرَ بها فانكشف». ولا معنى للخصر هنا والصواب «لا خَمَرَ بها» والخَمَر بفتحتين كل ما واراك من شجر او بناء

وفي مادة (ص ف ر - ص ١٣١) أُنشِد قول الراجز

«يا ريحَ بَينُونَةَ لا تَذْمينا　　جئتِ بألوان المُصْفَرّينا»

وضُبِط قولهُ «المُصْفَرّينا» هكذا باسكان الصاد وفتح الفاء وتشديد الراء وصوابهُ «المصَفَّرينا» بفتح الصاد وتشديد الفآء مفتوحةً

وفي مادة (ض ر ر - ص ١٥٥ س ٥) «وقد اضطرَّ فلانٌ الى كذا» وضُبط «اضطرَّ» بفتح الطآء على انهُ مبنيٌّ للمعلوم وكُرّر مثل هذا الضبط بعد خمسة اسطر مرّتين وصواب الشكل بصيغة المجهول لانك تقول اضطَرَتهُ الى الامر فاضطُرَّ اليهِ وقد سبق التنبيه على مثل هذا في باب الهمزة في مادة (و ط أ)

وفي مادّة (ع ت ر - ص ٢١٢ س ١٣) «وفي المثل عادت الى عترتها لميس» والصواب «الى عِترها» كما يدل عليهِ ما قبلهُ وهو المرويّ في مجمع الامثال وغيرهِ

وفي مادة (ع ط ر - اول المادة) «ورجلٌ عاطرٌ عَطِرٌ ومِعطير..» والصواب «عاطرٌ وعَطِرٌ» لان الثاني منسوقٌ على الاول كالذي بعدهُ لا تفسيرٌ لهُ

وفي الصفحة التالية في اول الصفحة « عُلِّقَ خَوْدًا طفلةً معطاره » ضُبط « طفلة » بكسر الطآء وهو غير المراد لان الطِفلة مؤنث الطِفل وهو الولد الصغير وصوابهُ « طَفْلة » بالفتح اي رخصة

وفي مادة (ق ص ر ـ ص ٤١١ س ٢١) « والنُزُع جمع النُزُوع » ضُبط « النزوع » بضم اولهِ وصوابهُ بالفتح

وفيها (ص٤١٣ س ١٨) « عديّ بن زيد العِبَّاديّ » ضُبط «العبادي» بفتح العين وتشديد البآء وصحتهُ بالكسر والتخفيف كما حققهُ المؤلف في موضعهِ من هذا الكتاب

وفي مادة (ن ع ر ـ س ١٧) « وجرحٌ نَعُور بصوتهِ من شدة خروج دمهِ » وهو كلامٌ لا معنى لهُ والصواب « يصوّت من شدة خروج دمهِ »

وفي مادة (ن ه ر ـ ص ٩٧ س ١١) « كانهُ قال لست بليليّ ولا نهاريّ » وهو تفسير لقولهِ « لستُ بليليٍّ ولكني نهِرْ » فالصواب « ولكني نهاريّ » كما لا يخفى

وفي مادة (ج أ ز) « وجَئِزَ بالمآء يجأز جأَزًا اذا غُصَّ بهِ » ضُبط « غصّ » بضم الغين على انهُ مبنيٌّ للمجهول وصوابهُ بالفتح لان الفعل لازمٌ لا متعدٍّ

وفي مادة (ا ن س ـ ص ٣٠٩ س ١٦) « كما قالوا للارانب أَرانيّ » وضُبط « اراني » بتشديد اليآء والصواب تخفيفها لان اليآء مُبدَلةٌ من البآء فليس هناك الا يآءٌ واحدة بخلاف نحو اناسيّ مما اجتمعت فيهِ يآء

افاعيل واليآء المبدلة . وقد سبق لنا كلامٌ على هذه المسئلة في الجزء الرابع (ص ١٠٠)

وفي مادة (ح س س ـ ص ٣٥٠ س ٦) « تحسَّستُ الخبر وتحسَّستهُ بمعنى واحد » ولا معنى للتحسُّس هنا وصوابهُ « تجسَّستُ الخبر .. »

وفي مادة (ر س س ـ س ٢١) « ان المشركين رَاسُونا للصلح » .ضُبط بتخفيف السين من « راسونا » والصواب تشديدها لانهُ صيغة مفاعلة من الرَسّ كما صرّح بهِ المؤلف

وجآء بعد ذلك « ويُروَى واسُونا » وضُبط بضم السين والصواب فتحها لانهُ من المؤاساة والواو في اولهِ بدلٌ من الهمزة كما جآء في كلام المؤلف ايضاً

وفيها في الصفحة التالية (س ١٧) « رسيس الحمَّى اصلهُ » والصواب « اصلها » كما لا يخفى

وفي مادة (ش م س ـ في اول المادة) « ولا بَكَيْتُكَ الشمسَ والقمر » كذا بجعل اللفظ الاول مركباً من « لا » الدعآئية و « بكيتك » بصيغة الماضي مسنداً الى تآء المتكلم وهو عكس المقصود كما يُستدَلّ عليهِ بالبديهة والصواب « لَأَبكينَّك » بلام القسم والفعل المضارع الموكَّد بالنون

وفي مادة (ح م ش ـ س ١٩) « ووترٌ حَمِش ومستحمش رقيق » كذا بالرآء في « رقيق » وصوابهُ « دقيق » بالدال

ورُوي بعد ذلك قول الشاعر

« كانما ضُرِبَت قدام اعينها قطنٌ لمستحمش الاوتار محلوجِ »

باللام في قولهِ « لمستحمش » ورواهُ في تاج العروس « كمستحمش » وهو اغرب والصواب « بمستحمش » كما هو ظاهر

وفي مادة (خ م ش ـ ص ١٨٨ س ٦) « وقد خمشني فلان أو ضربني أو لطمني .. » والصواب « اي ضربني .. » لان هذا وما بعدهُ تفسير للخمش لا عطفٌ عليهِ

وفي مادة (ك ش ش ـ اول المادة) « كشَّت المرأة .. وهو صوت جلدها اذا حكّت بعضها ببعض » ولا محلّ لذكر المرأة هنا والصواب « كشَّت الافعى » وان كان بعض الناس لا يرى فرقاً بين هذين اللفظين...

وفي مادة (ه ي ش ـ في اوائل المادة) « اياكم وهيَشات الليل وهيَشات الاسواق والهيَشات نحوٌ من الهوَشات » ضُبط « هيشات » في المواضع الثلاثة بفتح الياء وكذا « الهوشات » ضُبط بفتح الواو والصواب الاسكان في الكل (ستأتي البقية)

مغناطيسية الارض

ذكرنا في الجزء السابق انهُ اذا علّق قضيبٌ من المغناطيس تعليقاً افقياً وتُرِك لنفسهِ اتجه طرفاهُ احدهما الى الشمال والآخر الى الجنوب. وسبب ذلك جذب مغناطيسية الارض لكلٍّ من قطبيهِ حتى يستقرّ على موازاة الهاجرة المغناطيسية لان الارض تُعتبر بمنزلة مغناطيس عظيم ذي قطبين وخط استواء . وقد قدَّر بعض المحققين قوّة المغناطيسية فيها بما يعدل قوة ٨٤٦٤ الف الف الف قضيب من الفولاذ ثقل كلٍّ منها

ليبرة وكلها ممغنطة الى حد الاشباع

وقد قدَّمنا ان قُطبي المغناطيس في الارض لا يوافقان قطبيها الجغرافيين خلافاً لما كان يُظَنّ دهراً طويلاً . وأول من اكتشف هذا الميل فيها خرِستُوف كُولُمب حين كان مسافراً لاكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ فانهُ رأى الابرة المغناطيسية غير متجهة الى ناحية القطب ولكنها كانت منحرفة الى الغرب بما يزيد على درجة من القوس . فدهش لذلك دهشاً عظيماً لان الابرة كانت تُعتَبر الى ذلك الحين اصدق دليل للمسافر وخاف الركاب الذين معهُ وقد توهموا ان الطبيعة غيَّرت سُنَّتها في تلك العروض المجهولة وتركتهم بلا دليل

ومذ ذاك اخذ العلمآء في مراقبة الابرة فوجدوها تنحرف تارةً الى الشرق وتارةً الى الغرب الا ان هذا الانحراف لا يكون في جميع الارض على السوآء ولكنهُ يزداد مع القرب الى القطبين ويقلّ من جهة خط الاستوآء حتى يبلغ خطَّاً ينقطع فيهِ فلا يكون ثمة انحراف البتة . وهو يقاس بسعَة الزاوية الحادثة بين هاجرة المكان والسطح القائم المارّ بقطبي الابرة وهو المسمى بالهاجرة المغناطيسية

وقد ظهر ان الانحراف لا يكون واحداً في جميع الاماكن الواقعة على العرض الواحد من الارض فبينما يكون القطب الجنوبي من الابرة في احد البلدان على ١٥° مثلاً الى الغرب يكون في غيرهِ الى حاقّ الغرب بل ذكر الربّان پاريّ انهُ وجدهُ في مكانٍ من غربي غرُنلَنْد متجهاً الى الجنوب. وربما وُجدت خطوطٌ من سطح الارض تنطبق فيها الهاجرتان فلا يقع

فيها انحراف وهذه الخطوط غير قياسية الا انها على الجملة متجهة من الشمال الى الجنوب وتسمى بخطوط الاستقامة او خطوط الانحراف المتكافئ ٠ قيل ولا بدّ على الاقلّ من هاجرتين في محيط الارض يحصل فيهما هذا التكافؤ

ثم انهُ اذا استُقرِي هـذا الانحراف في المكان الواحد على مدةٍ مستطيلة وُجد انهُ في المحل الواحد ايضاً يزيد وينقص ٠ وقد رُوقب ذلك في باريز منذ سنة ١٥٤١ فكان مقدار الانحراف في تلك السنة ٧° ونصف دقيقة الى الشرق وبلغ سنة ١٨٥٠ الى ١١° ونصف دقيقة ثم اخذ يتراجع حتى انتهى سنة ١٦٦٦ الى ٠° وبعد ذلك اخذ غرباً واستمرّ يزداد سنةً بعد سنة الى سنة ١٨١٥ فبلغ ٣٠َ ٢٢° ثم عاد الى التناقص وهو الآن على نحو ٣٠َ ١٤° غرباً ولا يزال مستمرًّا على ذلك ومقدار هـذه الحركة بين ٤َ و ٦َ في السنة

وقد وُجد فضـلاً عن ذلك ان هذا الانحراف يختلف في المكان الواحد في اليوم الواحد اختلافاً قياسيًّا مطّرداً وقد يكون فجـآئيًّا عارضاً وهذا الثاني هو المسمى بالاضطراب المغناطيسي كما حدث في ٣١ اكتوبر من السنـة الغابرة على ما ذكرناهُ قريباً ٠ ومن اسبابهِ الفجر القطبي والزلازل والانفجارات البركانية والزوابع وغير ذلك فانهُ كثيراً ما يحدث في إبَر المراصد الجوّية اضطرابات قد تكون عنيفةً جدًّا من غير ان يُستشعَر سببها اولاً ثم يتبين انها كانت بسببٍ من الاسباب المذكورة حدث في موضع من الارض . وكذلك للصاعقة تأثيرٌ عظيم في الابرة المغناطيسية حتى انها قد تعكس قطبيها فجآءةً بحيث ان من السفن ما اضلّت طريقها بهذا السبب

في اوقات السكينة فاعتسفت في اشدّ المسالك خطراً . الا ان السبب الاعظم لحدوث هذه الاضطرابات هو ظهور السُفَع الشمسية كما استُدلّ عليهِ بتكرر حدوثها في كل ١١ سنة على ماتقدمت الاشارة اليهِ هناك

وقد ذُكر انهُ عند حدوث مثل هذا الاضطراب العنيف سنة ١٨٥٩ لمع على وجه الشمس شبه برقٍ مستطير شديد الضيآء حتى سطا على بصر المراقبين لهُ في المراصد الفلكية استمرّ مدة خمس دقائق منتشراً على وجه السُفَع التي كانت على الشمس وقتئذٍ لكن بدون ان يغيّر شكلها . وفي الوقت نفسهِ حدث اضطرابٌ عظيم في الآلات المغناطيسية كما حدث في المرة الاخيرة حتى ان الابر لبثت مدة ساعةٍ لا تستقرّ . وقد ظهر فجرٌ شماليٌّ عظيم في ذلك اليوم وغدهِ انتشر فوق اوربا وشمالي اميركا ورُؤي في الهند واستراليا وجنوبي اميركا وحدثت اضطرابات مغناطيسية في الارض كلها وتوقفت الاسلاك التلغرافية عن العمل

واول من تنبه لمقارنة الاضطرابات المغناطيسية للسُفَع الشمسية الاب سكّي والفلكيان وُلف وصابين . وقد حسب وُلف ان للاضطرابات المغناطيسية وظهور مُعظَم السُفَع والفجر القطبي ثلاثة مواعيد مختلفة فمُعظَم السُفَع يكون في كل ١١ سنة و٤٠ يوماً ومعظم الاضطرابات المذكورة يحدث كل ٥٥ سنة ونصف وظهور الفجر القطبي يكون كل ١٦٦ سنة . ولا يخفى ان الميعادين الاخيرين يرجعان الى الاول لانهما حاصل ضربهِ في ٥ و١٥ فهما مترتبان على مواقيت ظهور السُفَع

واما الاختلافات اليومية القياسية فانها مقدَّرة على ساعات اليوم على

وجهٍ يشير اشارةً واضحة الى انها مترتبة على حركة الشمس . ففي باريز مثلاً تبلغ الابرة معظم انحرافها شرقاً نحو الساعة الثامنة من الصباح واذ ذاك تقف ثم تعود الى جهة خط الهاجرة وتجتازهُ الى ان تبلغ معظم انحرافها غرباً نحو الساعة الاولى بعد الظهر فتكون مدة حركتها من احد المعظمين الى الآخر نحواً من خمس ساعات . وبعد ذلك تعود الى جهة الشرق فتقف عند الساعة الثامنة من المساء ثم ترتدّ الى الغرب ايضاً حتى تقف عند الساعة الحادية عشرة وبعد ذلك تنقلب الى الشرق فتبلغ معظم انحرافها الى حيث كانت بالامس الساعة الثامنة من الصباح وهلمَّ جرًّا . فلها كل يوم اربع خطرات ذهاباً ورجوعاً وزاوية الانحراف تختلف تبعاً للفصول وتكون على الجملة في الصيف اعظم منها في سائر السنة وتزداد كلما دنا موعد مُعظَم السفع في الشمس حتى تبلغ في ذلك الوقت نحو ضعفيها في غيرهِ

ثم ان الابرة المغناطيسية فضلاً عما ذُكر لها من الحركة الافقية الى جهتي الشرق والغرب فان لها حركةً اخرى عمودية تنتكس بها الى جهة مركز الارض . وهذا الانتكاس يقلّ او يكثر تبعاً لموقعها من الارض ويقاس بسعَة الزاوية التي تنشأ بين محور الابرة وأفق المكان . على انهُ يوجد في كل هاجرةٍ من الارض نقطة لا انتكاس فيها اي تكون الابرة فيها موازيةً للافق فيتألف من هذه النقط خطٌّ منحنٍ يتصل على محيط الارض يسمى بخط الاستواء المغناطيسي . وهذا الخط لا يوافق خط الاستواء الجغرافي كما ان القطبين المغناطيسيين لا يوافقان القطبين الجغرافيين ولكنهُ يعدل عنهُ شمالاً او جنوباً ويتألف منهُ أخيراً دائرةٌ من الدوائر

الكبرى غير قياسية تحيط بالارض . وقد وُجد ان هذه الدائرة تقطع خط الاستوآء الارضي في نقطتين سموها بالعقدتين كما تسمى عقد الافلاك احداها تُعرَف بالعقدة الاتلنتيكية وهي تقع بالقرب من جزيرة القديس توما على ٢٠َ ٣ْ من طول باريز شرقاً . ومن هذه العقدة يأخذ خط الاستوآء المغناطيسي في الانفراج عن خط الاستوآء الارضي فيبلغ معظم انفراجهِ جنوباً عند ٤٠َ ١٥ْ من العرض بين رِكساس وكويباس من القارة الاميركية . وبعد ذلك يأخذ في الدنوّ من خط الاستوآء الجغرافي حتى يبلغ العقدة الثانية وتسمى بالعقدة البولينيزية عند ٢٠َ ١٧٥ْ من الطول الغربي ويبلغ معظم انفراجهِ شمالاً بين هذه العقدة والعقدة الاولى على ٤٠َ ١١ْ من العرض في نواحي جزيرة سقُطْرا . ثم ان الانتكاس يزداد كلما بعدت الابرة عن خط الاستوآء حتى تنتهي الى نُقَطٍ في جوار القطبين تنتصب فيها عموداً على الافق وذلك حيث يبلغ الانتكاس غايتهُ وتسمى هذه النُقَط بالاقطاب المغناطيسية

على ان الانتكاس ايضاً كالانحراف يتغير مع الزمن وقد أُخذ في قياس زاويتهِ في باريز منذ سنة ١٦٧١ وكانت اذ ذاك ٧٥ْ ثم كانت تنقبض سنةً بعد سنة وهي اليوم نحو ٥٠َ ٦٤ْ ومعدَّل انقباضها نحو ٣٧ً ٢َ في السنة

اما تعليل ما ذُكر من نواميس المغناطيسية الارضية فذهبوا فيهِ مذاهب منها وهو قول جِلبَرْت ان في مركز الارض مغناطيساً في غاية القصر مائلاً ميلاً قليلاً على محور دورانها اليومي وان قطبي هذا المغناطيس اذا أُخرجا شمالاً وجنوباً انتهيا الى نقطتين هما قطبا المغناطيسية الارضية .

وذهب جُوس الى نفي القوة المركزية واعتبار ان كل جزء من الكرة مشتمل على قوةٍ مغناطيسية مستقلة جذبُها على نسبة مقلوب مربَّع البعد . وارتأى أَمپير ان في جوف الكرة مجرًى كهربائيًا مؤازيًا لخط الاستوآء المغناطيسي يجري من الشرق الى الغرب عموديًّا على الهاجرة المغناطيسية . ومنشأ هذا المجرى في رأيهِ عن فعل المآء وغيرهِ من العوامل الكيماوية الفاعلة على باطن القشرة الارضية وجعلهُ ماسُّون ناشئًا عن كهربائية الحرارة المتولدة من تأثير النواة السائلة في جوف الارض على ما يليها من الاجزآء الصلبة من القشرة. وهناك اقوالٌ اخر لا نطيل باستقرآئها مرجع جميعها الى الكهربائية مما يؤخذ منهُ ان المغناطيسية والكهربائية ليسا الا مَظهرَين لشيءٍ واحد او قوةٍ واحدة هي مشترَكة بين الارض والشمس وسائر الاجرام المنبثَّة في الفضآء والله أعلم

ديوان ابن مامية الرومي

بقلم حضرة الاستاذ الفاضل رزق الله افندي عبود في حمص

توطئة

بين الكتب التي تحويها مكتبتي الآن ديوانٌ شعري قد أكل الدهر عليهِ وشرب فلم يبقَ منهُ الا اوراق متفرّقة لا يُعرَف منها اسم الناظم ولا شيءٌ من اخبارهِ . وقد اعتنيتُ بهذه الاوراق حرصاً على ما فيها من الاشعار البديعة ورجاءَ ان افوز بمعرفة ناظمها المجهول. واول ما ارتأيت إجراءَهُ لنيل هذه الامنيّة قرآءَة تلك الاوراق والمقابلة بين ما فيها من الابيات وبين

ما علق بالذاكرة الضعيفة من الاشعار المختلفة لشعرآء كثيرين . فباشرت العمل بما يقتضيهِ من التعب الفكري وانا لا أزداد إلاّ بُعداً عن معرفة الناظم لعدم سماعي تلك الاشعار من قبل . وظللت كذلك حتى انتهيت الى الورقة ٥٣ فوقفت عند قرآءتها فرحاً باحرازي غايتي المقصودة وعثوري على ضالتي المنشودة . وذلك لاني قرأت في الصفحة الثانية من تلك الورقة قصيدة في مدح مدينة طرابلس تذكرت اني قرأتها في كتاب صنّاجة الطرب لنوفل افندي نوفل (ص ٢٨) وان اسم ناظمها ابن مامِيَة الرومي . ولدى مراجعتي الكتاب المذكور وكتاب تاريخ سورية لجرجي افندي ينّي (ص ٣٧٢) تأكدت ذلك وثبت لديَّ ان هذه الاوراق بقيّة من ديوان الشاعر المذكور

فطفقت أبحث عن ترجمة حياتهِ في مظانّها فلم اعثر على شيء منها . ولما خاب رجآئي من معرفتها كتبت سؤالاً في هذا المعنى وبعثت بهِ الى حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي صاحب مجلة المشرق وترقبت جوابهُ في المجلة مدةً فلم أرَ شيئاً من ذلك . وعند زيارة حضرتهِ لمدينة حمص في شهر ايلول سنة ١٩٠٢ قابلتهُ في باب ديرهم وتقاضيتهُ الجواب فقال « ان ابن مامية هو اسم لغير مُسمّى فاننا لا نعرف عنهُ شيئاً واما ديوانهُ فغير موجود في مكتبتنا الشرقيّة ولم نجد لهُ ذكراً في احد فهارس المكاتب الاوروبيّة » . وعند سماعي هذه الكلمات من حضرتهِ زاد اعتباري لهذه الاوراق وحرصي عليها وتفتيشي عن نسخة اخرى كاملة من هذا الديوان النفيس

وانا أزفّ الآن الى حضرات قرآء الضيآء الافاضل نتيجة بحثي في تلك الاوراق الباقية من الديوان فاعرّفهم بهذا الشاعر واذكر لهم ما قدرت ان

استنتجهُ من اخبارهِ من اشعارهِ نفسهِ لانهُ هو المورد الوحيد في هذا الشان ثم اصف لهم شعرهُ واورد أمثلةً منهُ . راجياً من حضرات القرآء الافاضل اذا عثر احدهم على شيء من اخبار هذا الشاعر او وقف على نسخة كاملة من ديوانهِ في احدى المكاتب العامة او الخاصة ان يتكرم بافادتي عن ذلك اما بكتابة خصوصية او بواسطة هذه المجلَّة البهيّة فاكون لهم من الشاكرين الذاكرين غيرتهم على نشر آثار السلَف

الفصل الاول

ترجمة الشاعر

المرجح ان اسمهُ محمد او احمد بدليل قولهِ من قصيدة نبويّة

وأسألهُ بالحسنين والزهرا عسى * يبدي شفاعتهُ غداً لسميهِ

وكان روميّ الاصل كما يدل على ذلك قولهُ

واني لروميٌّ ولي عَرَبيّةٌ * لها في طراز العلم سبقٌ ونائلُ

وقولهُ ايضاً مفتخراً ومضمّناً

الا يا فكرتي للشعر رومي   وخلّي العُرْبَ تشهد فضل رومي
رقيق النظم في استخدام بيتي   جناس اللفظ مملوكي خديمي
اذا ما رُمتُ ابتكر المعاني   أُقلّدها من الدرّ النظيمِ
وهل أهل التكلُّف في نظامٍ   تساوي صاحب الطبع السليمِ
وان عاب الجهول بديع نظمٍ   بهِ يرضى جميع ذوي العلومِ
« فكم من عائبٍ قولاً صحيحاً   وآفتهُ من الفهم السقيمِ »

وكان يلقّب بابن مامية وماماي وقد اشار الى ذلك بقولهِ من قصيدة نبويّة

ماماي عبدك قد أتاك بمدحةٍ * أنعم بحسن قبولها مولآئي

وقوله ايضاً وقد اشار الى ابن الرومي الشاعر الشهير [١]

ظهرت لمامية الاديب فضيلةٌ | بالشعر قد رجحت وكل علومِ

لا تعجبوا من حسن رونق نظمهِ | هذا ابو العباس إبنُ الرومي

وكان يقطن مدينة دمشق الشام والدليل على ذلك اولاً انهُ ذكرها في كثير من اشعارهِ بما يستفاد منهُ انهُ كان متوطناً لها منها قولهُ

يارب حبّاً زدتني في جلّقٍ | وجعلتني فيها فقيراً مُقتِرا

فبحق جودك جُدْ برزقٍ وافرٍ | حتى اعيش مكرَّماً بين الورى

وقولهُ

لقد قيل لي تهوى دمشقَ وارضها | وان قيل عن ارضٍ سواها تَعيبُها

فقلتُ لهم خلوا الملامة واقصروا | هوى كل نفسٍ حيث حلَّ حبيبُها

ثانياً ان لهُ عدة تواريخ لابنية شهيرة فيها ولوفاة وولادة بعض وجهآئها وكبرآئها مما سيرد بعضهُ في محلهِ

ولعل رحلتهُ الى دمشق كانت باديء بدء ليدرس في احدى مدارسها الشهيرة في ذلك الزمان ثم اقام فيها باقي حياتهِ . وفي احدى قصائدهِ التي شكا بها حوادث الدهر ما يشير الى غربتهِ وما يقاسيهِ من أليم كربتهِ لفقرهِ ومسكنتهِ وذلك قولهُ

---

(١) هو ابو الحسن علي بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومي ولد سنة ٢٢١هـ (٨٣٧ م) وتوفي سنة ٢٨٣هـ (٨٩٧ م) راجع ترجمتهُ في تاريخ ابن خلكان (١ : ٣٥٠)

كم غريبٍ شتَّ عن اوطانهِ وارتضى قهراً بذلّ السفرِ
واذا ما جئتهُ تسألهُ قال والدمعُ كوبل المطرِ
ليس لي عينٌ ارى اهلي بها قلَّ مِن فقدِ نُضاري نظري
فبلاءُ الفقر داءٌ خطِرٌ وهو يعمي القلب قبل البصرِ

ولهُ قصيدة يهجو فيها الدمشقيين من أهل مدَّتهِ ويصفهم بالبخل مطلعها

ترحَّلْ عن دمشق فليس فيها يُقدَّمُ غيرُ من امسى سفيها

ولعل ما دعاهُ الى نظمها ما كان يلقاهُ من النصب الشديد في تحصيل قوتهِ وما كان يراهُ من احتقار بضاعة الادب وامتهان اصحابها . ومنها قولهُ

كأنَّ فتىً بناها من قديمٍ بنى رصد العكوس على بنيها
أكابرُها على الفقرآء جارت وجاهلها اذلّ بها النبيها
تطوفُ بارضها شرقاً وغرباً فلم ترَ في الرياض بها نزيها

ولهُ قصيدة يمدح فيها مدينة طرابلس الشام ويصف اهلها بالكرم ومن المحتمل ان يكون قد قطنها مدةً من الزمان لانهُ يصفها وصف خبيرٍ بها وهي قصيدة حسنة عامرة بالمحاسن الشعرية مطلعها

أَلا خلّني من قول زيدٍ ومن عمرٍو وقم ننهب اللّذّات في فُرَصِ العُمرِ

وهذه هي القصيدة التي عرفنا منها ناظم الديوان كما تقدم الكلام

ولا نعرف السنة التي وُلد فيها هذا الشاعر ولا سنة وفاتهِ ولكن يمكننا تعيين القرن الذي كان فيهِ من مراجعة تواريخهِ الشعريَّة المثبتة في ديوانهِ . واول تاريخ لهُ منها لا يتعدى سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) وآخر تاريخ لا يتجاوز سنة ٩٨٢ هـ (١٥٧٥ م) ومن ذلك نستنتج امرين اولهما انهُ كان

عائشاً في القرن العاشر للهجرة الموافق للقرن السادس عشر للميلاد والثاني انهُ مات مُسِنّاً ومما يُشعر بذلك قولهُ في آخر حياتهِ طالباً من الله غفران زلاتهِ

عبدُكَ قد شاب فخُذ بالرضى   يا عالم الاسرارِ والغيبِ
ولا تعذّبهُ بنار اللظى   فقد كفى التعذيبُ بالشيبِ

ولنا من بعض ابياته دليل على صفاته فقد كان كريم النفس أبيّها قانعاً بالكفاف صبوراً على تقلّبات الليالي حرّ الضمير متواضعاً شديد الثقة بالعناية الالهية. والشواهد على ذلك كثيرة في شعرهِ منها قولهُ

أروم أذِلّ النفس وهي أبيّةٌ   تروم مقام العز فوق الفراقدِ

وقولهُ

أعِزُّ النفس لا ارضى بذلٍّ   ولا اهفو الى العيش الذميمِ

وقولهُ

هذا زمانٌ أصبحتُ فيهِ   غنيَّ فضلٍ فقيرَ مالِ
ان كنتُ اضحيتُ ذا افتقارٍ   فهل لاهل الغنى كما لي

وقولهُ

ارجو من الله ربي   مَعَزَّةً بين قومي
وصحّةً وشفاءً   وقوت يومٍ بيومِ

وقولهُ

قالوا نراك بلا دارٍ تقرُّ بها   كعاشقٍ يعتريهِ في الهوى ولهُ
فقلت اني كبحرٍ بالغرام طما   وكل بحرٍ محيطٍ لا قرار لهُ

وقولهُ

اذا كان رب العرش يقصد راحتي فمالي بكدّ العيش أُتعِبُ راحتي
فادمتُ حياً ان رزقي لم يَمُت وان مُتُّ ما لي من غناي وفاقتي

وقولهُ من ابيات

وخلِّ حمل الهموم يوماً ولا تُفكِّرْ لها مُدَبِّرْ

وقولهُ

وكيف يُرجى صلاحُ حالٍ في عالم الكون والفسادِ
فاُحمَدْ على ما قضاهُ واُصْبِرْ وقل إلهي انتَ اعتمادي

وكان مع انهُ روميّ يحبّ الشعر العربي ويفضلهُ على سواهُ ومن اقوالهِ في ذلك

الى العربيّ مِلْ في نظم شعرٍ فذاك لسان ارباب الكمالِ

ولعلهُ كان صوفياً او من مريدي التصوُّف لان لهُ اشعاراً صوفيـة كثيرة منها قولهُ

انما الروح لمحةٌ من جمال ال حقّ تُلقي على الجسوم سناها
كضيا الشمس للنجوم مُمِدٌّ واذا ما قوي التجلّي محاها

الفصل الثاني

﴿ كلامٌ في شعره ﴾

لابد لنا قبل وصف اشعارهِ وتعريفها من وصف الاوراق الباقية في يدنا من ديوانهِ فنقول: هي ٥٣ ورقة مرقَّمة رقم الاولى منها ٣ والاخيرة ١٣٨ وهي مكتوبة بخط فارسي جميل طول الصفحة ٢٥ سنتيمتراً وعرضها ١٥ وفي

كل منها ٢٢ سطراً . وفي كتابتها كثير من التصحيفات والتحريفات اللفظية مما يدلّنا على ان ناسخها كان يجهل اللغة والشعر . ولا يحط ذلك من قدر الديوان فان فيهِ من الاشعار النفيسة ما يليق ان يكون مثالاً للبلاغة والرشاقة . وهذه الصحائف الباقية من الديوان مع انها جزءٌ منهُ فهي كافية لاظهار منزلة الشاعر فانهُ والحق يقال من فحول الناظمين كما يظهر جلياً من مطالعة المختارات التي سنوردها من شعرهِ . وقد نظم في جميع فنون الشعر تقريباً واحسن فيها كلها وجآء بالابيات الرقيقة المنسجمة. ولم يكتفِ باستعمالهِ سائر الابحر الشعرية المألوفة بل نظم ايضاً شيئاً كثيراً من المواليا والدوبيت والسلسلة والزجل وقد تفنن في موالياتهِ تفنُّناً يدل على رسوخ قدمهِ في الصناعة الشعرية . وشعرهُ على العموم يوصف بان فيهِ كثيراً من التوجيهات والآيات القرآنية والتضمينات وهو سلس سائغ تشربهُ الافهام لسهولتهِ وانسجامهِ وخلوهِ من التعقيد والالفاظ المهجورة وفيهِ صناعة لفظية تكسو المعاني حسناً وزينةً وتزيد في رونقها

والغالب على شعرهِ الغزل ولهُ فيهِ الابيات الرائقة والمعاني الفائقة نحا فيها نحو المولدين في الاكثار من التشبيهات والاستعارات والانواع البديعية حتى انك لاترى لهُ بيتاً الا وفيهِ من البديع كل معنى لطيف ونوع بديع . ولهُ كثير من الاشعار الحكمية ضمّنها من المواعظ والفوائد الادبية ما يدل على عقلٍ راجحٍ وحكمةٍ بالغة . ولهُ بعض اشعار شكا فيها جور الزمان الغدّار ووصف حالتهُ السيئة لقلة مابيدهِ من النضار وبيّن ما يلاقيهِ نظرآؤهُ الفقرآء من الامتهان والازدرآء ولو كانوا اصحاب فضائل وافضال

وارباب معارف وكمال وذلك لكساد بضاعة الادب وعدم الالتفات الى ما سوى الذهب وكلامهُ فصل الخطاب في هذا الباب لانهُ انما يصف حالتهُ الخصوصية ويترجم عن وجداناتهِ الشخصية . ولهُ بعض ابيات وصف فيها الرياض في وصف الربيع وصفاً بديعاً واخرى نحا فيها منحى طريقة السادة الصوفية مثل ابن الفارض وابن العربي [1] في التغزل بالكمالات الالهية . ولهُ عدة الغاز ومعميات واحاجي تدل على تفننهِ وذكائهِ وكثير من التواريخ الشعرية البديعة سنفرد للكلام فيها فصلاً خاصاً ان شاء الله .
اما اشعارهُ في الرثاء فقليلة واحسنها مرثاتهُ للسلطان سليمان الاول القانوني وهي من جيد الشعر وتخميسه تبلغ ٤٣ بيتاً وقد تخلص فيها من رثاء السلطان المتوفى الى مدح ولدهِ وخليفتهِ السلطان سليم الثاني وتهنئتـهِ بالخلافة . وكذلك اشعارهُ في المدح قليلة جداً واكثرها في مديح الحضرة النبوية وقد اجاد فيها كل الاجادة

ولهُ كثير من الاشعار المجونية اعرب فيها عن تصوراتهِ الغريبة في هذا

---

(١) اما ابن الفارض فهو ابو حفص وابو القاسم عمر بن ابي الحسن الحموي المحتد المصري المولد والدار والوفاة ولد سنة ٥٧٦ ﻫ (١١٨١م) وتوفي سنة ٦٣٢ ﻫ (١٢٣٥م) راجع ترجمتهُ في تاريخ ابن خلكان (١ : ٣٨٣)

واما ابن العربي فهو الشيخ الاكبر محي الدين ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي (انظر تاريخ ابن ابي اصيبعة ٢ : ٦٦) امام الصوفيـة ورب طريقهم ولد بمرسية سنة ٥٦٠ ﻫ (١١٦٤ م) وقطن مدينة دمشق وبها نشر علومهُ وتوفي سنة ٦٣٨ ﻫ (١٢٤٠ م) راجع ترجمتهُ في كتاب فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي (٢٤١:٢)

الباب ولكنهُ خرج في اكثرها عن دائرة النزاهة والادب باستعماله بعض الكلمات البذية (التي يستملحها بعض القوم) مما تنبو عنهُ الاسماع النزيهة وتأباهُ الاذواق السليمة وعلى الخصوص في هذا العصر

(ستأتي البقية)

الضحك والهضم

نشرت احدى المجلات العلمية فضلاً تحت هذا العنوان لاحد اكابر الاطبآء جآء فيهِ ما محصَّلهُ

يعتقد الاطبآء ان علاج عسر الهضم يكون بالادوية المُدخَلة على الجسم ولكن تكرار الامتحان دلّ على ان تلك الادوية قلما تفيد لان علل المعدة هي على الغالب من العلل الوظيفية فينبغي ان تُداوَى بتهيئة العضو لاتمام وظيفتهِ. وذلك يكون بعد مراعاة نوع الطعام ومقدارهِ بان لا يأكل الانسان وحدهُ ما استطاع الى اكثار المشاركين لهُ سبيلاً وان لا يجعل حديثهُ على الخوان في الامور السياسية او المهمات البيتية او الاشغال التجارية الى غير ذلك مما يقتضي وحدة الحديث احياناً فيكون باعثاً على عسر الهضم بل يجب ان يكون الحديث فكاهياً كثير النكات داعياً الى الضحك حيناً بعد حين لان الاحاديث الجدّية تقتضي إعمال الذهن لتفهُّمها والخوض فيها فينشأ عن ذلك ان الدم الذي كان من حقهِ ان يذهب الى المعدة ليساعدها على الهضم يتحول الى الدماغ فلا تعود قادرةً على هضم ما التهمت

وفضلاً عن ذلك فان الضحك حين الطعام والاكثار من ايراد الملح

والمستطرفات مما يقتضي اطالة الوقت فيترتب على ذلك تمهُّل الآكل في اكلهِ وكثرة مضغهِ للطعام فيكون كأنهُ قد هُضِم بعض الهضم قبل وصولهِ الى المعدة فضلاً عما في الضحك نفسهِ من الرياضة المعتدلة التي تعين على الهضم . اه

هذا ما يقولهُ الطبيب المشار اليهِ وهو قولٌ لاريب فيهِ كما يعلمهُ كلٌّ منا بالاختبار فاننا اذا كنا على خوان لهوٍ ومباسطة وجدنا للطعام خفةً في المعدة تتبعها سهولةٌ في الهضم وذلك للسببين المقدم ذكرهما اذ الهضم قائمٌ بعمل الفم الذي هو مضغ الطعام وتجزئتهُ وعمل المعدة الذي هو تحليلهُ بما فيها من العصارات الهاضمة ولتمام هـذا التحليل لابدّ من تجزئة الطعام الى اصغر ما يمكن من الاجزاء ليسهل تخلل السوائل الهاضمة لهُ ومباشرتها لكل اجزائهِ . وذلك فضلاً عن ان اللعاب فيهِ قوةٌ هاضمة تحوّل الطعام تحويلاً كيماويًّا يسهّل انحلالهُ في السوائل المعدية ولذلك يجب التأني في المضغ لانهُ ادعى الى كثرة اختلاط الطعام باللعاب المُفرَز من جوانب الفم . ومثل ذلك يقال في وجوب تفريغ الذهن عن الامور المهمة والمباحث الجدّية التي تقتضي إعمال الدماغ ومعارضتَهُ للمعدة في امر الهضم ولذلك يحسن بذوي الاعمال العقلية ان يتخلوا عنها قبل الطعام ولو بربع ساعة ليعتدل توزيع الدم فيهم ولا يبعد على المعدة استدعاء ما تحتاج اليهِ من الدم لعمل الهضم كما ان الراحة تجب بعد الطعام ايضاً على ما هو مشهور للسبب عينهِ ولذلك يُختار النوم القليل بعد الطعام لانهُ يؤدي الى توقف اعمال الدماغ فيكون ذلك اعون للمعدة على اتمام عملها

آثار ادبيّة

الحماسة السنية في الرحلة العلية الشنقيطية ـ هي رسالةٌ لحضرة الاستاذ العلامة ثقة الثقات وصفوة المحققين الشيخ محمد محمود بن التلاميد التُركُزي الشنقيطي المشهور تشتمل على عدة قصائد من شعرهِ ضمَّنها اغراضاً مختلفة وذكر فيها أشيآء من تاريخ حياتهِ اهمّها رحلتهُ الى المشرق ثم رحلتهُ الى بلاد الاندلس للاطلاع على كتب العرب هناك . وبين ذلك فنونٌ شتى ومساجلات وتحقيقات في مسائل نحوية ولغوية وغيرها بالنظم والنثر مما دل على سعة علم وغزارة محفوظ وامعانٍ في التحقيق والتدقيق ولا غرو فانهُ قُطب هذه الصناعة ومجلّي هذه الحلبة والشيء من معدنهِ لا يُستغرَب . فنشكر فضيلة الاستاذ على ما آثرنا بهِ من هذه الطرفة الكريمة بل الدرّة اليتيمة ونحث القوم على مقتناها فانها خير ما جُمعت عليهِ يد الحريص على جواهر الحقائق العلمية ونوادر التحقيقات الادبية واللغوية

كتاب النجوى في الصناعة والعلم والدين ـ هو المؤَلَّف الذي المعنا اليهِ في بعض اجزآء السنة الثانية (ص ١٩٨) تحت عنوان « تعريف الحسن » تأليف حضرة الاب العلامة الفاضل الخوري جرجس شلحت السرياني الحلبي . وقد طُبع الآن القسم الاول من مقدمتهِ وموضوعهُ الكلام على الله واعمالهِ مسبوكاً في قالب مقالاتٍ مسجَّعة مرصعة بمحاسن الاشعار ضمَّنها اشرف الالفاظ وابدع المعاني في الثناء عليهِ عزَّ وجلّ وبيان عظمتهِ

وحكمتهِ وجبروتهِ وعزَّزها بشرحٍ مطوَّلٍ استشهد فيهِ بكلام الانبيآء والاوليآء وعلماء الكلام واللاهوت والفلاسفة والشعرآء والمنشئين مما ايد فيهِ كل صفةٍ بما يزيدها وضوحاً وثبوتاً من اقوال المتقدمين والمتأخرين ودلَّ بهِ على سعة اطلاعهِ ووفرة محفوظهِ وثبات جلَدهِ على ادمان المطالعة والبحث . فجآء سفراً جامعاً لاسمى ما اشتملت عليهِ الكتب الالهية من وصف الذات القدسية وابدع ما ولدت قرائح البشر من نفائس المعاني ومحاسن التصورات العلوية . وقد طبعهُ طبعاً جميلاً محلًّى بالشكل متناً وشرحاً وهو يقع فيما يزيد على ١٣٠ صفحة متوسطة . فنحضّ المتأدبين وطلاب العلم والفلسفة على مطالعتهِ ونثني على مؤلفهِ الفاضل اطيب الثنآء ونسأل لهُ تحقيق ما نوى بهِ من النفع ومكافأتهُ بجميل الجزآء

الباكورة السورية لطلبة اللغة الالمانية ـ اهدى لنا حضرة الاستاذ البارع اسبر افندي ضومط احد معلمي مدرسة الايتام السورية بالقدس الشريف نسخة من تأليفٍ لهُ بهذا العنوان وهو كتابٌ مطوَّل في صرف هذه اللغة ونحوها استوفى فيهِ قواعدها وضوابطها صوغاً واعراباً واكثر فيهِ من ذكر الالفاظ الدائرة في المعاشرات والمعاملات وختمهُ بمعجم مختصر رتبهُ على حروف الهجاء العربية ضمَّنهُ نحو عشرة آلاف كلمة بين اصلية ومشتقة فجاء الكتاب وافياً بتحصيل قواعد هذه اللغة وكثير من مفرداتها واساليبها على اسهل طريق فنشكرهُ على اهتمامهِ هذا ونرجو لمؤلَّفهِ مزيد الرواج

فكاهات

الفتاة الروسية (١)

حدثني صديق اشتهر بالتنقل وحب السياحة وقد جاب انحآء المعمور قال افضى بي الترحال والتنقل في الاقطار الاوربية الى ان بلغت مدينة موسكو عاصمة البلاد المسكوبية سابقاً فاعجبتني المدينة وطاب لي هوآؤها ومناخها فعزمت على الاقامة فيها ردحاً من الزمن · ولكي لا اشعر بالملل والضجر اللذين يستحوذان على الغريب اخذت في التعرف ببعض وجهآء القوم · ولما كان الروس مفطورين على بعض الطبائع الشرقية من حب الضيافة والميل الى الغريب لم اجد صعوبة في التعرف بعدد من الاسر الروسية وكانوا كثيراً ما يدعونني لتناول الطعام في بيوتهم او لقضآء الليالي التي كانوا يصرفونها في انواع اللهو والسرور

وحدث ان كنت ليلة في بيت اتناول طعام المسآء مع عدد ليس بقليل من الاصدقآء دعاهم رب المنزل اكراماً لي فوجدت بين المدعوين فتى في عنفوان الشباب طويل القامة حسن الهيئة يكثر من التنهد وارسال نظرهِ الى الفضآء كانهُ لاهٍ عما امامهُ بافكار اخرى سامية انستهُ محل وجوده · ولما راقبتهُ مراراً في اثنآء الحديث وجدتهُ يختلس نظراً خفياً الى فتاة من الحضور كانت منذ دخلت قد ادهشتني بجمالها الساحر وقوامها البديع وهي مرتدية ثوباً اسود علامة الحزن يزيد سواده في بياض وجهها ومعصميها · وتاملت في نظرات الفتاة فتأكدت انها ترنو من حين الى آخر الى الشاب المذكور بنظرة تلمح منها الشفقة اكثر من الوله والحب · وكنت لما عرَّف صاحب الضيافة بعض ضيوفهِ ببعض على ما هي العادة قد علمت ان الفتى يدعى پتروف والفتاة كاليس واظهرت لي دلائل الحال ان

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

بتروف وكاليس متحابان منع من اظهار حبهما بعض الموانع البيتية او غيرها • وكان في حديثي وحركاتي في تلك الليلة ما جذب اليَّ قلوب الحاضرين ولا سيما هذين الشخصين وما انتهت سهرتنا الا وهما على جانبيَّ كاني اخوهما الاكبر وقد اجتمعا بي بعد فراق طويل حتى قالت لي كاليس اعذرني يا سيدي اذا اظهرت لك هذه الدالة فقد كفت هذه الدقائق القليلة التي قضيناها معاً لان تجعلني اتخذك مرشداً لي عوضاً عن والدي • ولما قالت هذا مسحت دموعاً ترقرقت من مآقيها وصبغ وجهها الاحمرار فاعارها جمالاً فائق التصور • ولما ازفت ساعة التفرق همست في اذن كاليس داعياً اياها ان تزورني في المسآء الثاني في بيتي لاكلمها بحديث جرأني عليهِ ما اظهرتهُ لي من الثقة برأيي ونصحي فقبلت ووعدتني بالحضور • ولما تاكدت منها ذلك دعوت بتروف ايضاً للحضور في نفس الموعد تقريباً ثم تفرقت الضيوف بعد تلك الليلة الجميلة وخرج كل واحد عائداً الى بيتهِ

وفي مساء اليوم الثاني اتى المدعوان وكان السابق بتروف فاخبرتهُ بما لاحظتهُ في الامس وانني دعوتهُ ودعوت كاليس علني اتمكن من ازالة ما عساه ان يوجد من الموانع في سبيل اجتماعهما • فتنفس بتروف الصعدآء وقال اشكرك ايها الصديق على غيرتك هذه وانا لا اكتم عنك شغفي وهيامي بهذا الملك الطاهر ولكنني لا اعتقد بوجود قوة ارضية تنيلني مشتهاي ان لم تساعد السمآء في تغيير قلب كاليس وجعلها تشعر نحوي ببعض ما اشعر بهِ نحوها • فقلت ولِمَ هذا يا صاح فقد رأيت منها بالامس انها ليست خلية البال من نحوك • قال نعم انها تحبني محبة اخ فقط • قلت فهل تحب سواك اذاً • قال كانت تحب فتى توفي من بضع سنوات ويظهر انها لم تعد تهوى شيئاً بعده وقد اقفلت على عاطفة الحب في قلبها فآه من لي باعادة تلك العاطفة الى شعورها السابق فترى اذ ذاك انني ابذل حياتي ودمي ومالي في سبيل رضاها والحصول على كلمة من فيها فتقول لي انني احبك • ولما انتهى الى هنا قرع الباب ثم دخلت كاليس دخول نور الشمس الى المكان المظلم فاستقبلتها بكمال الاحترام وفعل بتروف نظيري ثم جلسنا نتحدث معاً

ولما جآءت ساعة تناول العشآء نهضنا الى المائدة وشغلت ضيفيَّ بالحديث حتى طابت نفساهما وشعرت انهما مسروران حقيقة٠ وبعد ما فرغنا من الطعام دخلنا غرفة الجلوس فذكرت لكاليس امر بتروف وقلت لها قد وعدتني امس ان تتخذيني مشيراً ونصيحاً فافعلي بكمال الحرية وثقي انني اكون لكِ والداً محباً وابذل وسعي في سبيل مرادكِ٠ وكانت كلماتي الخارجة من صدري قد حققت لكاليس ما اقول فضلاً عن اعتقادها بي فاطرقت هنيهة ثم استقبلتني بوجهها وقالت بصوت عذب يأخذ بمجامع القلوب يشهد الله ايها الصديق انني اعتبرك اعتباري لوالدي ولا اخفي عنك شيئاً وانني احب بتروف من كل قلبي محبة شقيقة لشقيقها ويجوز ان تكون محبة عشيقة للمغرم بها لولا عهدٌ عليَّ اترك لكما الحكم فيهِ بعد ان اقص عليكما تاريخ حياتي فاسمعاني باصغاء

ولدت من ابوين لا اقول شيئاً عن اسرتهما وهي معروفة في جميع انحاء موسكو ولم يكن لوالديَّ سواي فربياني افضل تربية ٠ ولا حاجة الى ان اذكر ما انفقاه عليَّ واعدد اصناف العلوم والفنون التي رغبا في ان ادرسها بل اقول ان حياتهما كانت متعلقة بي ولم يكن لهما من العالم باسره سلوة او سرور سواي ٠ ولما بلغت سن الرشاد تعرفت بفتى من اسرة فورونوف يدعى بوريس بهي الطلعة حلو الشمائل ابي النفس شجاع كريم فاحببتهُ حباً شديداً اجتهدت في كتمانهِ عن والدي وعنهُ٠ وكان بوريس قد اصابهُ ما اصابني فجعل يزورنا وانا ارتاح الى مقابلتهِ ويظهر ان والديَّ لم يسوءهما ذلك فكانا يستقبلانهِ بالترحاب والسرور٠ واكثر بوريس من التردد علينا فكانت كثيراً ما تسمح لنا الفرص بالخلوة حتى امتلأت كاس حبنا ففاضت وطلبني بوريس من والديَّ ففوضا الامر اليَّ ٠ ولما كنت احبهُ حباً لا مزيد عليه لم امانع في طلبهِ فخطبني ٠ وكان بوريس مقيماً بيطرسبرج فلما عاد اليها لداعي اشغاله لذعتنا مرارة الفراق التي لم يكن يخفف نارها الا الرسائل اليومية المتبادلة بيننا ثم استلزمت اشغال والدي ان ننتقل الى بطرسبرج فذهبنا واتخذنا لنا فيها مسكناً ولا تسألا عن سروري عند ما شعرت انني اصبحت بالقرب من

حبيبي وقد اعتضنا بالمشاهدة يومياً عن المراسلة عن بعد • واقام القيصر يوماً حفلة سرورا اكراماً لتذكار ميلاد القيصرة فدعا الى تلك الحفلة وجهآء المملكة وكبار الموظفين فيها وكان والدي لسوء حظي من المدعوين فاعلمني بذلك وقال لي انهُ من الواجب ان اذهب معهُ • وكان في صدري ما يوعز اليَّ بالامتناع من الذهاب غير ان الحاح والدي اجبرني ولا سيما عند ما قال لي ان القيصر يعد من التقصير في واجبات رعاياه ان يدعوهم الى مأدبتهِ ولا يحضروا

وفي الليلة المعهودة ذهبت الى البلاط الامبراطوري فشهدت الحفلة وانا لا اصدق ان تنتهي واعود الى بيتنا غير ان التقادير كانت قد دبرت لي خلاف ما اضمرت واعدت لي شيئاً لم يكن بالحسبان فرآني في تلك الليلة الارشيدوق سرجيوس ويظهر انهُ اعجبهُ جمالي فتقدم اليَّ وطلب مخاصرتي فاعتذرت مع كمال التحفظ والاحترام فألح عليَّ فابيت وانا اجهل من هو وكان والدي يشير اليَّ من بعيد ان لا امانع فتجاهلت اشارة والدي واصررت على الرفض • ورايت لون الارشيدوق قد تغير فنظر اليَّ شزراً وتمتم ببعض كلمات لم افهم منها شيئاً لاشتغال افكاري بامور اخرى ولكنني رايت الارشيدوق قد توجه تواً الى والدي وهو يجهل انني ابنتهُ فكلمهُ بضع دقائق راقبتهُ فيها فوجدت انهُ قد بدت على وجهه اولاً علامات الاستغراب ثم الغيظ ثم حب الانتقام فهز رأسهُ ثلاثاً وترك والدي فجأةً ودخل بين الجماهير فلم اعد اراه • ولما انقضت الحفلة عاد بي والدي الى البيت وكان يؤنبني على رفضي طلب الارشيدوق فاعلمتهُ اني لم اكن اعرفهُ قط وفهمت من كلام والدي انهُ كان حاقداً عليَّ ويود الاقتصاص مني فكدت اذوب اسىً واسفاً ولم انم في تلك الليلة قط • ونهضت في الصباح التالي وكنت اترقب موعد مجيء بوريس لاعلمهُ بما حصل ولكنهُ لم يأت فزادني ذلك لهفة وحيرة ولا سيما عند ما جآء الليل التالي ولم ار بوريس ولم اسمع عنهُ شيئاً فقضيت ليلة امر من الاولى وانا اتقلب على مثل القتاد حتى برزت الغزالة فخرجت من بيتنا وعزمت على زيارة بوريس في محل اقامتهِ وهو لا يبعد عنا كثيراً فما دخلت المنزل حتى قابلتني والدتهُ بالبكآء والنحيب فانحلت

عزائمي واستولى عليَّ الضعف ثم رايت كأن البيت يدور بي فلم استطع الوقوف وسقطت الى الارض فاقدة الرشد

ولما عاد اليَّ روعي فهمت من بعض كلمات متقطعة قالتها تلك الوالدة المسكينة بين التنهدات والزفير انهُ في صباح اليوم السابق جآءت عربة مقفلة فوقفت امام بابهم وخرج منها جندي بيده اوامر مختومة اطلع بوريس عليها ولم يمهله ان يودع والدتهُ او يخط كلمة الوداع الى خطيبتهِ بل ادخلهُ العربة وامر السائق بالمسير ولما اسرعت الوالدة لتسأل عن الخبر اشار اليها الجندي بالرجوع وقال لا تطمعي في مشاهدة ابنك بعد الآن الا اذا ارتكبتِ ذنباً يوجب سخط القيصر عليك فلحقت بهذا المجرم الى منفاه في سيبيريا

واتضحت لي الحقيقة فعلمت ان الارشيدوق قد انفذ وعيده واقتص مني بنفي حبيبي فلم اقدر ان اسامح نفسي وقد قتلتهُ بيدي وعدت الى بيتي على غير هدى فوجدت والديَّ ينتحبان فظننت لاول وهلة انهما علما بما حل ببوريس فاسفا من اجلي غير ان الضربة الثانية لم تكن اخف من الاولى فان والدي وصلتهُ اوامر من القيصر بعزله من منصبه ومغادرته بطرسبرج في نفس ذلك النهار

ولما كانت الاوامر القيصرية كالقضآء المحتوم اخذ كل واحد منا يتجرع مصابهُ بالصبر وغادرنا تلك المدينة الظالمة وسرنا في زمهرير البرد وتحت تساقط الثلوج عائدين الى موسكو ولم ندر ان ما حصل لم يكن الا الحلقات الاولى من سلسلة المصائب التي كتبت لنا • واثر ما جرى في بنية والدتي الضعيفة فاصابتها حمى محرقة كان الثلج والبرد الآفة الكبرى في زيادتها ولم تكن الاوامر تسمح لنا بالوقوف فتابعنا سيرنا ولم نجتز بضع مراحل حتى لفظت المسكينة روحها على صدر والدي التعس وبين يدي ابنتها الشقية التي كانت سبباً لكل هذا الويل وحملنا جثتها حتى بلغنا موسكو فدفناها كما يليق بالشهدآء وبقيت مع والدي في منتهى اليأس والحزن• وبعد بضعة ايام ظهرت على والدي علامات مرض كان يخفيه عني لكي لا يزيد في يأسي ثم اشتد عليهِ فمات تاركاً هذه الابنة وحيدة في هذا الكون تقارع الخطوب وتستقبل الرزايا

فلبثت اياماً لا اذوق طعاماً ولا شراباً ولا شغل لي الا العويل والبكآء حتى ضعفت قوتي واشرفت على الهلاك . وكم قد تمنيت الموت العاجل لاخلص من هذا الشقآء غير ان الله كتب لي الحياة ووهبني الصبر فبقيت حية الى الآن . و بعد مدة من وفاة والدي علمت ان حبيبي بوريس قد تمكن من الهرب من منفاه في سيبريا وانهُ عائد الى بطرسبرج فلم اشك في ان حبهُ لي هو الذي ساقهُ الى هذا العمل وانهُ يود الرجوع ليصحبني معهُ ويغادر بي الاقطار الروسية فاعارني هذا الفكر قوةً جديدة وجعلت اتوقع حدوث ذلك وانا بين الخوف والامل . ثم علمت ان بوريس بعد ان هرب من سيبيريا وجآء متخفياً الى روسيا ما عتم ان سقط في ايدي بعض الجنود الروسية وعرفهُ قائدهم انهُ من المنفيين فاخبره انهُ سيأخذه الى بطرسبرج ويسلمهُ الى المجلس الاعلى . اما بوريس فجعل يستعطف ذلك القائد متوسلاً اليه ان يعفو عنهُ فابى ذلك اللئيم الا ان يقتص منهُ واخيراً اجتزأ بان اوثقهُ الى شجرة في وسط سهل مكسو بالثلوج وتركهُ لتفترسهُ الذئاب ثم سار برجاله وبوريس يستغيث ويطلب الفرج وليس من سامع ولا مجيب

وكان هذا آخر ما سمعتهُ عن بوريس المسكين فلا اشك انهُ قد افترستهُ الذئاب وبذلك انقطع آخر آمالي ولم يبق لي في الحياة من امنية فانقطعت الى الاعتنآء بنفسي وانا اندب والدين حبيبين وخطيباً عزيزاً ذهبوا جميعهم ضحية عنفواني وامتناعي من مخاصرة ذلك الارشيدوق الغاشم . وكان في مدة اقامتي في موسكو ان تعرفت ببعض الاسر وكانوا يعلمون شيئاً من امري فبذلوا جهدهم في تسليتي والاعتنآء بي وكان بين هولآء هذا الفتى بتروف فانهُ احبني ورايت تفانيهُ في سبيل مرضاتي فاحببتهُ ايضاً ولكن ليس من كل قلبي فانهُ مشغول بامر آخر هو الانتقام من ذلك القائد اللئيم الذي علق حبيبي بوريس على الشجرة لتفترسهُ الذئاب ولا يمكنني نسيان هذا الامر والشعور بحرية قلبي الا اذا انتقمت من ذلك الوغد انتقاماً عادلاً

وكنت انا وبتروف نسمع حديث الفتاة ونحن نأسف لما حل بها من المصائب وانا اعجب من غرائب الاتفاق . فقال بتروف مخاطباً اياها اذاً يا حبيبتي كاليس

لم تمت عاطفة الحب من قلبك ولكنهُ مشغول الآن بفكر الانتقام • قالت نعم فالذين ماتوا لا يمكن رجوعهم وانما اود الاقتصاص من ذلك الخائن فاذا تم لي هذا الامر عاد قلبي الى قياده المطلق وتمكنت اذ ذاك من قبول محبة الذين يودونني ويحبونني فقال پتروف اذاً انا اعدك امام الله وامام هذا الشاهد الكريم انني اسعى من هذه الساعة في معرفة القائد الذي ذكرتهِ حتى اذا قابلتهُ قدتهُ اليك وذبحتهُ امامك ذبح الاغنام فهل تعدينني ان تحبيني اذا فعلت ذلك قالت اعدك انهُ اذا ارتوى فؤادي من الانتقام لحبيبي واصبحت في حل من عهدي ان اجيب طلبك واحبك واكون لك اذا شئت • فما صدق پتروف ان سمع هذا الوعد حتى ملأ السرور فؤاده فجعل يطفر في الغرفة كانهُ قد ادرك غايتهُ ثم وعد ان يسافر صباح الغد ولا يعود الا وهو يقود القائد الذي كان سبباً في موت بوريس • وكأن هذا الوعد اعار كاليس املاً جديداً فابرقت اسرتها وانشرح صدرها وعاد اليها لونها واعطت يدها لبتروف ليقبلها ودعت لهُ بالفوز والنجاح • وكانت ليلتنا قد قاربت الانتهآء فخرج ضيفاي وبقيت انا وحدي اناجي افكاري واتعجب من طوارق الحدثان • وفي اليوم الثاني سافر پتروف ولم يعلم احد بغايته اما انا فكنت اقابل كاليس من وقت الى آخر فاراها على احر من الجمر وهي تود سماع خبر منهُ يفيدها انهُ قد ظفر بقاتل حبيبها وانهُ يقوده اليها لتشاهد الانتقام منهُ بعينها • ثم دعتني الحال الى مغادرة موسكو فسافرت تاركاً قلبي في تلك المدينة يحرس ذلك الملك الطاهر ويؤمل لهُ الفوز بما يرجوه

وبعد سنتين من تاريخ تلك الحادثة عدت الى موسكو وكان اول اهتمامي ان اسأل عن كاليس واعلم ما حل بها ولما اهتديت الى منزلها قصدتها زائراً فاستقبلتني بوجه باش ولما دخلت وجدت رجلاً قد وخط الشيب رأسهُ وبانت على وجهه علامات الضعف تستر ورآءها شجاعة فائقة وشباباً غضاً وعرفتني به كاليس انهُ زوجها فاستغربت ذلك لعلمي انها حسب وعدها لا يكون بعلها اذا تزوجت الا پتروف • وادركت مني ذلك فقالت نعم هذا زوجي بوريس فقد بعث من قبره ولا بد انك في شوق الى معرفة كيفية رجوعه الي فاجلس لاقص عليك بقية الحديث الذي

بدأت به في منزلك منذ سنتين . قلت هاتي بر بك الخبر بالتفصيل فاني اتوق جداً الى معرفته فقالت

قد علمت ان پتروف غادر موسكو صباح تلك الليلة التي قضيناها في منزلك للبحث عن قاتل زوجي بوريس فقضى اشهراً يتنسم الاخبار ويتداخل مع العساكر والضباط في الحانات والفنادق الموجودة بين مدن روسيا حتى تمكن بعد بضعة اشهر من معرفة الفرقة التي القت القبض على بوريس وعلم ان رئيسها عينتهُ الحكومة في حرس طريق سيبيريا عند الحدود الروسية . فسكر پتروف بفوزه هذا وجعل يسأل عن تلك الفرقة وعن محل اقامتها حتى عرف مقرها منذ ثلاثة اشهر مضت فقصد ذلك المكان فوجد فيه نحو العشرين من الجنود وزعيمهم فلم يشك في انهُ هو الذي امر بايثاق بوريس الى الشجرة وتركه فريسةً للذئاب . فلبس پتروف ثوب المكر والخداع وتداخل مع الجنود ثم تعرف بزعيمهم وجعل يجتهد في امتلاك قلبه باظهار الوداد والاخاء لهُ حتى اغتر هذا بصداقته واصبح الاثنان روحاً واحدة في جسدين . ولما امتلك پتروف غايتهُ هذه جعل يشوق الزعيم الى زيارة موسكو فتردد الزعيم اولاً ولكنه لم يزل به حتى اجاب وارسل يستأذن في ترك مركزه حيناً لقضاء مدة اجازته في موسكو ولما ورده الاذن نهض هو و پتروف وسافرا الى موسكو

اما انا فكنت لا ازال كعادتي ملازمة بيتي لا يهمني شيء في العالم وكان انقطاع اخبار پتروف قد اكد لي انهُ لم يفز بمطلبه وانهُ يخجل من العودة الينا وهو لم يقم بما وعد . وفي ذات ليلة طرق باب منزلي فسألت من الطارق ولما اجابني تبينت صوت پتروف فاصطكت ركبتاي وارتعش جسمي ثم فتحت لهُ باب الدار فدخل وهو يقود رجلاً ستره الظلام عن ناظري وادخلهُ الى غرفة يعرف انها خالية وجلس واياه فيها فلبث معهُ ريثما استراحا قليلاً ثم جاء اليَّ واعلمني انهُ يقود زعيم الفرقة الذي قضى على بوريس بتلك الميتة الشنيعة وانهُ يود الايقاع به في تلك الليلة حسب وعده لي ثم سألني هل احب ان ارى الانتقام بعيني فلم اقوَ على اجابة اقتراحه هذا وقلت لا بل افعل به ما تشاء لكن اعلمهُ قبل قتله انهُ يموت بثار ذلك المسكين البريء

الذي افترستهُ الذئاب ظلماً وعدواناً • فخرج بتروف من غرفتي عائداً الى ضيفنا المذكور ورايت في يده خنجراً يقطر الموت من افرنده فارتعش جسمي واسرعت الى الاختفآء في سريري ولكنني كنت ارى في غرفتي كيفما نظرت رؤى مفزعة واشباحاً عديدة اقامها امامي ضميري المعذب فلم استطع صبراً وعزمت للحال ان اذهب فامنع بتروف عن اجرآء الانتقام في بيتي وللحال خرجت من غرفتي وتوجهت الى الغرفة التي كان فيها بتروف والزعيم ولكنني لم اكد ابلغ بابها حتى سمعت انيناً محزناً وصوتاً يخرج من فم صاحبه بمنتهى الالم قائلاً اواه قتلتني يا خائن • وما سمعت هذا الصوت حتى تذكرت اني اعرفهُ وللحال شعرت ان الارض تدور تحت اقدامي وكدت اسقط مغمى عليَّ لو لم اتمالك قواي ففتحت باب الغرفة فبدا امام عيني منظر لم ارَ ولن ارى في حياتي نظيره فاني رايت بتروف واقفاً وبيده الخنجر والدم يقطر من شفرته وامامهُ على الارض ملقىً الجريح الذي مع كبر سنه وتغير هيئته في تلك المدة عرفتهُ انهُ حبيبي بوريس • ولم اكن اتصور قط ان الموتى ينشرون فاخافني هذا المنظر كثيراً ولكن التقادير اعارتني قوة لم تكن فيَّ قط فوثبت الى بتروف وانتزعت الخنجر من يده ورميتهُ الى الارض بعيداً واسرعت الى الجريح فبذلت وسعي وغاية ما اعرفهُ في تضميد جرحه وانا كلما تفرست فيه تحققت انه خطيبي بوريس حتى كدت افقد عقلي • ولما تمكنت من حبس نزيف دمه وعاد اليه بعض قوته وراَني صاح من قلب يحترق حباً ووجداً آه يا حبيبتي كاليس أفي يقظة انا ام في منام

واخبرني بوريس انه بعد ان تركه القائد مربوطاً الى تلك الشجرة استعد للموت وجعل يتوقعه في كل دقيقة • واتفق ان اولئك الجنود كانوا يكرهون زعيمهم لشراسته وبذآءة لسانه فبعد ان اكمل فعلته بي وسار واياهم راجعوه في حكمه هذا فاغلظ لهم الكلام فاهانوه ثم تألبوا عليه وقتلوه وعادوا اليَّ فحلوا وثاقي واخبروني بامرهم طالبين مني ان اقوم مقام زعيمهم فلا يدري احد بفعلتهم هذه • ولما كان يهمني جداً التستر عن كل من عساه ان يعرفني ولم يزل لي ارب في الحياة قبلت طلبهم فالبسوني ثياب زعيمهم المقتول واصبحت لهم رئيساً كأنه لم يحدث شيء مما

حدث . وكان اول عملي ان كتبت الى والدتي في بطرسبرج ثم اليك يا حبيبتي كاليس فلم احصل على جواب وكررت ذلك عدة مرار بدون جدوى فتاكدت ان والدتي اما توفاها الله او غادرت مسقط راسها الى بلاد اخرى وانكِ انت قد تزوجت بسواي فتغير بذلك عنوانك . ولم ازل بين شك ويأس الى ان جاءني هذا الرجل بتروف فاستلب لبي بكلامه واظهر لي الصداقة ثم الحَّ عليَّ في زيارة موسكو فقبلت رغبةً مني في زيارة البلاد التي اول ما احببت فيها وجئت معهُ الى هنا فما كاد يستقر بي المقام حتى خرج من الغرفة فظننتهُ في بيتهِ وانهُ يهتم بان يحضر لي شيئاً من الطعام والشراب ولكنه ما لبث ان عاد وبيده هذا الخنجر فلم يمهلني دقيقة حتى اغمده في صدري وكان ما كان مما تعلمينه

اما بتروف المسكين فلم يكن يشك قط في ان بوريس هو نفس الزعيم الذي قتل حبيبي وقد اقدم على ما فعل لاجل محبتي وقياماً بما رغبت اليه فيه فلما سمع حديث بوريس وعلم ان حبيبي لا يزال حياً يرزق تحقق ان لا امل له بعد في الحصول على محبتي ولا سيما وانهُ قد طعن خطيبي بيده تلك الطعنة الشديدة فوثب الى خارج الدار كالمجنون وكان ذلك آخر عهدنا بهِ . اما انا فاقمت على تمريض بوريس الى ان تعافى وشفي جرحهُ وخشينا ان يعود الدهر الى مصادمتنا برزايا جديدة فاستدعينا كاهناً عقد لنا عقد الزواج واصبح بوريس زوجي كما ترى . وهو لم يملك تمام العافية فسانتظره الى ان يتعافى تماماً ونترك هذه البلاد الى المانيا حيث اؤمل ان نعيش بما لديَّ من المال

وكنت انا اسمع حديث كاليس واتعجب من افعال القدر وسرني ان صبر كاليس رد اليها سرورها بالحصول على حبيبها الاول فهنأتهما من صميم قلبي على اجتماعهما هذا ولبثت ازورهما الى ان امتلك بوريس تمام صحتهِ فسافر بها الى المانيا وهما لا يزالان يراسلانني حتى الآن ويدعوانني لزيارتهما في بيتهما الجديد
